

خمس رسائل لفخر المحققين

(٦٨٢هـ / ٧٧١هـ)

م.د. محمد حليم حسن الكروي

مركز تراث الحلة

Five Letters to Fakhr Al-Muhaqiqin

(682 AH. / 771 AH.)

Asst. Dr. Muhammad Halim Hassan Al-Karawi

Hilla Heritage Center

عتبة

إذا بحث باحث عن هذا العنوان، لن يجده بين عنوانات المؤلفات التي ألفها الفخر رحمته الله، والتي شاعت في كتب التراجم والتصانيف، فهذا العنوان حديث الصناعة، إذ وجدنا من خلال البحث في فهارس المخطوطات جملةً من الرسائل التي تُنسبها الكتب إلى فخر المحققين، وبعد التأكد من نسبتها له، والحصول على نسخها من مكاتب عدّة، تكوّنت الفكرة القائمة على جمع هذه الرسائل في كتابٍ واحدٍ، وكان مجموع ما تحصّلنا عليه أربع رسائل، وهي (الناصرِيّات، والآمليّات، ومسائل متفرّقة على مجموعتين)، يُضاف لها رسالة بعنوان (ثلاثة وأربعون حديثاً عن النبيّ)، وقد نُشرت سابقاً في مجلّة تراث الحِلّة، وبذلك أصبحت لدينا خمس رسائل، أمضينا في العمل بها سنةً كاملةً، إذ تكاتف الجهود في سبيل إخراجها بأحسن صورة؛ ليكون هذا العمل المشترك من أوائل الأعمال التي تخرج من وحدة التحقيق، وبأيدٍ حلّيّة خالصة، وقد صدرت في كتاب بعنوان (خمس رسائل لفخر المحققين) عن مركز تراث الحِلّة عام (١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م).

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الرسائل تمثّل في معظمها أجابات الفخر رحمته الله عن رسائل أرسلها أصحابها إليه، طالبين الإفتاء بها، كونه - أي الفخر - يمثّل رأس الحوزة العلميّة في زمانه، والمرتكز الذي يستند عليه علماء الأُمَّة آنذاك .

وقد وضعنا منهجاً لعملنا في هذا الكتاب، يتلخّص في:

- اعتمدنا على مصوِّرات الرسائل المخطوطة، الموجودة في مراكز تراث مختلفة في العراق، وطهران.
- قمنا بتخريج الآيات القرآنيَّة الكريمة، والنصوص بالرجوع إلى مصادرها الأصليَّة.
- تصحيح النصِّ وتعديله عند الحاجة إلى ذلك، بما يتلاءم مع سياق النصِّ عمومًا.
- مراعاة قواعد الإملاء الحديثة، وتصحيح الأغلط النحويَّة، من دون الإشارة إلى ذلك في الهامش؛ لقلَّتْها.
- كلُّ زيادةٍ يقتضيها السياق وُضعت بين قوسين معقوفين، مع فكِّ الرموز والاختصارات الواردة في المخطوطة.

وفي مقالنا هذا سنسلِّط الضوء على هذا الكتاب وأقسامه، وكذلك منهج الفخر رحمته الله في رسائله، لكن قبل كلِّ ذلك، لا بدَّ أن نتكلم عن الفخر رحمته الله بشيءٍ من الإيجاز.

أولاً: فخر المحققين

هو الشيخ أبو طالب، محمَّد بن جمال الدين الحسن بن يوسف ابن المطهر الحليِّ، المعروف بـ(فخر المحققين)، وجهٌ من وجوه الطائفة وثقاتها وفقهائها، وُلد يوم الاثنين ليلة العشرين من جمادى الأولى سنة (٦٨٢هـ)، نشأ على يد والده العلامة الحليِّ، نشأة علميَّة حتَّى أينع وأصبح عالمًا فاضلاً، ومحقِّقًا بارعًا، روى عن والده العلامة، وعن جمعٍ من أعلام الفريقين، وقد حظيَ بمكانةٍ كبيرةٍ عند المسلمين عامَّةً؛ لما قدَّمه من خدمةٍ للأمة الإسلاميَّة في عصرٍ حالكٍ من عصور تلك الحقبة التي تسلَّط فيها المغول، وما بعدها.

تتلمذ الشيخ فخر المحققين على يَدَي والده العَلّامة، وعلى عمّه رضيّ الدين عليّ (ق ٧٧هـ)، فكاننا من أهمّ شيوخه وأساتذته؛ إذ تربّى بجِجِر والده، وأخذ عنه العلوم العقلية والنقلية، فبلّغَ درجة الاجتهاد على يديه في سنِّ مبكّرة من عمّره الشريف، وكان العَلّامة يُعظّمه، ويثني عليه في كثير من المواضع، ويعتني بشأنه كثيرًا، فكان من أجلّ تلاميذه، حتّى أنّه ذكره في صدر جملة من مصنّفاته الشريفة، وأمّره في وصيّته التي ختم بها (قواعد الأحكام) بإتمام ما بقي ناقصًا من كتبه بعد حلول الأجل، وإصلاح ما وُجد فيها من الخلل، وحاله في علوّ قدره، وسموّ مرتبته، وكثرة علومه، أشهر من أن يُذكر، ومن ملامح فضله اشتراكه مع أبيه العَلّامة في منح بعض تلامذة أبيه إجازات بالرواية، مثل محمّد بن أبي طالب بن محمّد الآويّ، الذي قرأ كتاب (مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق) عليه وعلى والده مصنّف الكتاب سويةً، فأجازاه بعد إنهاء قراءة الكتاب عليهما في التاريخ نفسه، وكان ذلك في (٤ جمادى الآخرة سنة ٧١٠هـ) بالسلطانية. ومن تلاميذه: الشهيد الأوّل، بهاء الدين عليّ ابن السيّد عبد الكريم ابن عبد الحميد الحسيني النيليّ، والمحدّث الفاضل بدر الدين حسن بن نجم الدين المدنيّ، والمحقّق العَلّامة فخر الدين أحمد بن عبد الله المتوجّج البحرانيّ، السيّد العَلّامة تاج الدين محمّد بن مُعيّة الحسيني، وغيرهم.

لشيخنا المترجم جملة من المؤلّفات والرسائل التي شكّلت تراثه أذكرُ منها: (إجابات مسائل السيّد علاء الدين عليّ بن زهرة، أجوبة المسائل الفقهيّة، أجوبة مسائل فقهيّة لبعض الأجلّة، أجوبة المسائل المهنايّة، إرشاد المسترشدين وهداية الطالبين، إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد)، وغيرها كثير.

توفيّ ﷺ ليلة (٢٥ جمادى الآخرة سنة ٧٧١هـ) عن عمّر ناهزَ تسعًا وثمانين سنة، وأرّخ السيّد هادي كمال الدين سنة وفاته بما نصّه:

ثانياً : وصفُ للكتاب

صدر الكتاب عن مركز تراث الحلة عن دار الكفيل عام (٢٠١٩م)، وقد جاء على خمسة محاور، ضمَّ في كلِّ محور رسالة تتضمَّن مجموعة من الأسئلة من شخوص، منهم من كشف المخطوط عن شخصيته، ومنهم من أغفل ذلك، ويرجع ذلك على ما يبدو إلى أن هذه الأسئلة وردت من عامَّة الناس أو (العلماء)، وليست خاصَّة بشخصية معينة.

فسمَّيت الرسالة الأولى في الكتاب بد (أجوبة الناصريَّات)، وهي مجموعة من الأسئلة، التي تتكون من تسع وثلاثين سؤالاً، أرسلها السيّد ناصر الدين حمزة بن حمزة ابن محمَّد العلويّ الحسيني، فسمَّيت بالناصريات.

والرسالة الثانية سمَّيت بد (أجوبة الأمليات)، وهي ثلاث عشرة مسألة سأها السيّد حيدر بن عليّ بن حيدر الحسينيّ الأمليّ في معارف عدَّة، فأجاب عنها فخر المحققين بأجوبة فتوائية.

أمَّا الرسالة الثالثة، وهي رسالة منشورة في مجلَّة تراث الحلة، وقد ارتأينا إضافتها للكتاب؛ لتعمَّ الفائدة، ويكون المجموع أكثر تكاملاً بها، لكن هذه الرسالة لا تحتوي أسئلة وأجوبة، بل هي جمع وشرح وتوثيق لثلاثة وأربعين حديثاً أسندها الفخر لوالده العلامة الحلبيّ (ت ٧٢٦هـ)، متصلاً ذلك بالشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ) من خلال كتابه (التهذيب والاستبصار)، وهي من الرسائل المهمة لفخر المحققين.

ثمَّ تلاها رسالتين بعنوان:

- رسائل متفرقة (١).
- رسائل متفرقة (٢).

وتلتزم هاتان الرسالتان نظام السؤال والجواب أيضًا، وتركز المسائل المتفرقة الأولى على دقائق الأمور التي يُبتلى بها الإنسان المكلف، فهي في الأصول والفروع، وقد سألها مجموعة من الفضلاء والفقهاء؛ لزيادة التبصّر في الدين، والتفقه في أصوله وفروعه، فهي رسالة تُجيب عن أسئلة تتعلق بما يحتاجه الإنسان في حياته اليومية، فيقول محققها: «احتوت هذه المسائل على فنون من المعرفة من كلامٍ وفقهٍ وأصولٍ، ولا يمكن للقارئ الكريم أن يخرج دون مغنمٍ بعد قراءتها؛ إذ حوت فوائد جليّة، ونكتًا جزيلة؛ خصوصًا وأنّ السائلين هم من أرباب العلم والفضل». ومن تلك المسائل على سبيل التمثيل:

- في صوم السبعة بدل الهدّي.
- إجارة الحجّ من خارج بلد الميّت.
- حكم من ركع قبل الإمام ناسيًا.
- حكم تجديد النية.
- في دفع الدين عن الميّت من الزكاة. وغيرها من المسائل.

وقد نسخ هذه المجموعة السيّد محمد عليّ بن محمد بن عبد الله الموسوي الأريجاني. أمّا المجموعة الثانية التي وردت بعنوان (أجوبة مسائل متفرقة ٢)، فهي تتعلق بمسائل أقلّ علاقة بالحياة العامّة للإنسان، فلا يحتاجها عامّة الناس في الأعمّ الأغلب، ومن تلك المسائل:



- الفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْإِمَامِ.
- القَوْلُ فِي احْتِسَابِ كُتُبِ طَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ قُوْتِ السَّنَةِ.
- القَوْلُ فِي دَمِ الْكَافِرِ.
- القَوْلُ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَلَّلَةِ.
- القَوْلُ فِي الْكِتَابَةِ عَلَى الْقُرْآنِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَشَائِلِ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ بِعَامَّةِ النَّاسِ.

ثالثاً: منهج الفخر في إجاباته

إنَّ موضوع كتاب (خمس رسائل) يقوم على أساس الأسئلة المرسلة إلى الفخر عليه السلام؛ لذلك التزم الفخر منهجاً يقوم على الإجابة المباشرة للسؤال، من دون أيِّ إطالة أو تفصيل إضافي، فلم تتجاوز الإجابات سطراً أو سطرَيْن، وفي بعض الأحيان أقل من ذلك، فمثلاً إجابته عن سؤال: لَوْ كَانَ فِي نَمِيرٍ نَجَاسَةٌ، وَلَيْسَ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ جَرَى فِي النَّهْرِ مَاءٌ، وَلَمْ يُشَاهِدْ (المُكَلَّفُ) الْجَرِيَانَ فِي النَّهْرِ، وَشَاهَدَ النَّجَاسَةَ قَبْلَ الْجَرِيَانَ فِيهِ، وَثَانِيَةً مَعَ الْجَرِيَانَ؛ هَلْ يَكُونُ النَّهْرُ طَاهِراً أَمْ لَا؟.

الجواب: إِذَا كَانَ الْمَاءُ كُرّاً كَانَ طَاهِراً. وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُطَهَّرِ.

فالجواب لم يتجاوز الست كلمات، وفي ذلك إيجاز واقتضاب يكشف لنا عن فهم الفخر عليه السلام لطبيعة السؤال، وما يحتاج من إجابة، مع حملها لمبدأ القطعية، فلم يُشِرْ إلى ما يوحي بإمكانية تعدد الأجوبة، أو البحث عن الأفضل.

وقد استلزم هذا النهج السهولة اللغوية المقترنة بالوضوح؛ وذلك يرجع إلى أنَّ الأجوبة تخاطب عامة الناس، وما تتطلبه حياتهم اليومية، لذا انتهج منهج الوضوح؛



رغبةً منه في إفادة أكبر قدر ممكن من الناس، وهذا الهدف - على الرغم من اختلاف الرسائل - بقي ثابتاً في أجوبة الفخر عليه السلام؛ لأنه أدرك فائدة ذلك، وقدرته على تحقيق المرجو منه.

وقد وثق الفخر عليه السلام جميع الأجوبة بتوقيع تضمّنت اسمه الكامل (وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُطَهَّرِ) في جميع الرسائل، وهو بذلك يسند الإجابات إليه، ويقطع أيّ شكّ في عدميّة صحتّها، الأمر الذي جعلها مناسبة لكلّ الأزمان، مسندةً سنداً صحيحاً .

إنّ هذا المنهج ملائم لهكذا رسائل استفهاميّة، فالسؤال يحتاج إلى إجابة مباشرة من دون تطويل فيها، وبذلك تلائم جميع الطبقات الاجتماعيّة، فتغطّي طبقة واسعة من المجتمع الإسلاميّ قديماً وحديثاً.

